مُناقشات

« جبل القدر » و قواعد النقد ...

بقلم مطاع صفدي

اذا اراد فرد ما ان يهدم عملا فنيا ، مهما كانت قيمته الابداعية ، فليس اسهل عليه من ان يحيله الى موضوع « علمي » ، وبذلك يظهر العمل الفني وكأنه لعب اطفال ، وتماثيل قش ، وتهاويل انسان مجنون..

بهذه الخلاصة استطيع ان اوجز هذا المقال الذي كتبه السيد « عبد المحسن طه البدر » عن رواية « جبل القدر » ، التي اصدرتها منذ حوالي نصف عام . وكان عنوان المقال « جبل القدر ومطاع صفدي » .

ورغم انني قد حدست منذ اللهجة الاولى التي توتر خلالها كلام هذا « الناقد » ، وهي ان السيد « طه البدر » قد انتهى من توه من قراءة احد الكتب النقدية المدرسية ، وراح يجرب « معلوماته » الجديدة ، فيطبقها على كتاب ، ليس لمؤلفه ثمة جريمة الا ان اسلوبه ومضمونه وعقده الفنية لم تأت منسجمة وقواعد الكتاب النقدي ، الذي احترمه هذا الناقد ، واعتبر قواعده هي الاولى والاخيرة في عالم الكتابة .. اقول رغم هذا ، فلقد احسست ان كاتب المقال قد استبد به موقف سلبي عجيب ، يقطر حقدا ، لا ادري له سببا ، حتى جعل كل ما أردت ان اصوره وأبرزه من خلال شخصيات القصة واحداثها ، وتطور حركتها الفنية ، معكوسا مقلوبا بصورة مفتعلة ، لا بد ان تأتي اما عن سوء فهم كامل للكتاب ، واما عن تعرض وعداوة غريبة ضد المؤلف ، حتى استباح الكاتب لنفسه ان يأخذ دور المقرع ، والمعلم ، والموجه القومي ، والمقيم الفني. فكان لايجد حرجا ابدا ان يوجه للكاتب نصائح في المفاهيم النقدية ، ويقول له ان روايتك تعتمد على النوع الذي يبرز « الشخصية » ـ لاحظوا هذا التصنيف المدرسي ـ ثم لا يقبل الناقد للرواية هذا الشرف ، فلا يلبث ان ينفي عنها هذه الصفة كذلك .

ثم يلجأ الكاتب الى ان يدينني في عقيدتي القومية لعبارات وردت على السنة الابطال في الرواية . ولعل السيد « طه البدر » لم يجد ثمة وسيلة لتخريب هذا العمل الروائي ، الا بان يدين الكاتب من خلال عبارات الشخصيات . فيهاجم الرواية من خلال ماحاولت انا نفسي ان احلل به هذه الشخصيات . وتلك اغرب طريقة يمكن ان يلجأ اليها ناقد ، يود ان يكون لكلامه صفة الموضوعية والصدق .

والحق انني لم أشأ ان ارد على مثل هذه النقد ، لولا انني وجدت في الرد ، مناسبة لايضاح كثير من اللبس المقصود او العفوي الذي ظهر حول هذه الرواية في بيئة معينة من القراء .

*

وقبل كل شيء احب ان اناقش هذا الهلع العجيب الذي يبدو عند طائفة من القراء ، من اي تحليل له طابع فكري . وهذا ماتبلور في النقطة الرئيسية التي حاول السيد طه البدر ان يهاجم الرواية منها .

ولعله يربط بين كوني مثقفا ثقافة غربية ، وبين اسلوبي « التجريدي الشكلي » ، وكأن الثقافة العربية كانت مجرد اسلوب لفظي خال من اي مضمون فكري . ولست ادري ماالذي يجعل المثقف « ثقافة غربية » موضع حذر ومعابة . ثم ماالذي يجعل الثقافة ذات اطار قاري معين ، وهل يضير الكاتب ان يكون متأثرا بثقافة عالمية يريد ان يعالج ادبه من خلال معطياتها الانسانية ، او نقول عن قانون الجاذبية الذي اكتشفه نيوتن الانكليزي ، انه قانون انكليزي غربي ، وينبغي علينا ان نرفضه !

ومن قال للسيد طه البدر انني رفضت الثقافة الاوروبية ، ـ بطريقة تجريدية شكلية كعادتي دائما ـ ثم عجزت عن التخلص من « رواسبها ».. بطريقة تجريدية كذلك !

لاريب ان السيد طه البدر وبعض اخوانه من القاهرة ، قد اساؤوا ثانية فهم المقدمة التي كتبتها لمسرحية « الاكلون لحومهم » وفيها قررت وقائع روحية في ثقافة الغرب عندما قلت ان الانسان كان يستمر في وهم منذ ان مجد ذاته وجعلها معنى الهيا ، حتى ضجر من هذه الالوهية وكشف عن اصلها الحيواني والجنسي والمادي على يد علماء حديثين ، فهل معنى هذا ان نهجر الثقافة الغربية ، او ان نحاول فهم تطورها الروحي ، لنستطيع ان ندرك مكاننا من المساهمة في حل مشاكلها المعاصرة، التي اصبحت في هذا العصر مشاكل للانسانية كلها ، بعد ان انفتحت الحضارة الغربية على العالم اجمع ..

ومن المؤسف حقا ان يعود الناقد ليستخلص نتائج قسرية من هذه المقدمة وهي انني نفيت قيمة الثقافة الانسانية منذ بدء الخليقة.. ويقفز هذا السيد من مقدمة المسرحية الى عبارات وردت في الرواية تشرح نموذج البطل الاول « نبيل » عندما يقول عن نفسه : « انني اليوم باختصار لاأطمع في شيء ، لااحترم احدا » الخ ..

وانظروا الى مدى المغالطة التي تدين هذا الناقد ، عندما يبرز هذه العبارة ، ويقطعها من الاصل ، وكأنها قانون علمي من كتاب فيزيائي ، بينما هي مجرد عبارة فنية وردت على لسان البطل في لحظة من لحظات تجربة اليأس والفردية في النصف الاول من الرواية .. ولكم غالط طه البدر عمدا او جهلا ، عندما انكر حق التطور على ابطال القصة ، وراح يخلط دائما بين بداية التجربة واخرها ـ وهذا ماسأفصله في حينه ـ

وبعد ان يورد الناقد هذه الفقرة ، ينتقل الى اطلاق حكم رهيب على « مطاع » نفسه . فمطاع الكاتب الذي انطق بطله نبيل بهذه العبارة ، لكي يعلم القارىء مدى الفردية والعزلة التي يتخبط بها البطل ، اصبحت « اعترافا » من مطاع بفرديته هو .. فكيف بالله يمكن ان نحكم على الكاتب من خلال مايقوله ابطاله ، ولو كان لدى الكاتب بطل مجرم ، لاصبح الكاتب مجرما اذن ... هكذا يكون الفهم والعلمية النقدية ياسيد طه أليس كذلك .!

وبعد هذا يتمسك الناقد بكشفه العبقري هذا ، ويتابع استخلاص النتائج من ذلك الحكم على فردية الكاتب وانعزاله عن المجتمع العربي واستعلائه على الناس وعلى افراد المنظمة والاصدقاء والقادة ... والجميع .. ولو قلت هذا ياسيد طه عن شخص اخر لصدقك القراء، واما لو كنت تتابع ماكتبه مطاع صفدي منذ اول حرف حتى هذه الرواية لعرفت مدى تجنيك على كاتب ملتزم لقضايا امته وانسانيته ..

غير ان المصيبة الكبرى التي يعانيها كل ادب فضاح صريح ، هو انه سيبلى من بعض القراء بعكس اهدافه تماما . فاذا صور الاديب بطلا في اعماق تجربته التكوينية ، اذا صور فرديته ، شكه ، جبنه ، انهزاميته فانه لا بد ان يفهم عندئذ بانه يخون قضية امته..واذا تحدث عن علاقات جنسية ، تحدث في سيارة او بيت منعزل ، وعن خيانات ، وعن مواقف عاطفية متناقضة ، ارتفع عليه النكير من وجدان « الشرفاء الاخلاقيين » الذين ينفون ان يكون مثل هذا يحدث في مجتمع دمشق او بيروت او القاهرة ، الا .. في باريس وحدها ..

مرة اخرى اقول للناقد ان ابراز مثل هذه المواقف لاتشنع مجتمعنا ، ولا تبرهن عن انعزالية الكاتب ، وانما تجعل قلمه في صميم الصخب الحي ذاته ، صخب الخير والشر معا ..

ويلح الناقد ، ويظل يلح على ان الرواية تعيش في جو ذهني محض، كل ذلك لان الرواية لم تصور حركات مادية تفصيلية من الحياة اليومية، لم تكن كقصة عنترة او أبي زيد الهلالي .. كل ذلك لان اتجاه الكاتب كان الكشف عن حركة التجربة التكوينية الداخلية لجملة من الشباب في تناقضهم وتمزقهم ، من اجل ان يكون احدهم ما ينزع اليه في ثوريته..

وعاب الاخ الناقد ان الكاتب لم يحدثنا عن الثورية العربية مطلقا ..

عن صراع الفرد مع المجتمع ، ومن أجل تحقيق شروط مادية افضل . هذا مايجعل القصة خيالية ، وكاتبها فرديا انعزاليا ، وجوها ذهنيـا تجريـديـا ....

ولو كان الناقد متقنا حتى قواعد كتاب النقد المدرسي ، لادرك ان الرواية ليست علم اجتماع ، او علم تاريخ واقتصاد ، وان العمل الروائي قد يتابع ثورية انسانية كاملة ، ليس امة فقط ، من خلال نفسية فـرد واحد . ولقد سعى افراد « جيل القدر » ، كل على طريقته ان يصـور جانبا حيا من مشكلة تكون الانسان العربي .. ولنرحم هذا الانسان العربي قليلا ، ولنمتنع عن جعله اسطورة في الكمال .. ان « جيل القدر » ليسوا ابطالا ، ولكنهم يحاولون انيكونوا كذلك ، والرواية ارادت ان تسبـر غور هذه المحاولة عاطفيا وجنسيا ، وقوميا ثقافيا ، وانسانيا معاصرا . وقدمت من اجل ذلك عشرات النماذج من مثقفين ونضاليين وشعبيين .. وتعامى الناقد عن مختلف هذه الشخصيات ، وتعلق بنبيل وحده من دون الاخرين ، بينما كان نبيل واحد من هؤلاء الشباب الذين تفتك بهـم ارادة قاسية في سبيل الاخلاص لتجربتهم ، والنفاذ منها الى ذروة روحية لها معادلها الاجتماعي والانساني .

والاغرب من هذا ، ان الناقد لم يصبر على متابعة تاور هـذه الشخصية من الفردية المتأزمة المطلقة ، الى العمل الجماهيري الحي . فكيف تناسى السيد طه البدر الاحداث وتواليها ، والمراحل الروحيـة التي خاضها هؤلاء الشباب ، وهم اقرب الى سن المراهقة ، وما تحتمـل هذه السن من رومانسية وقوقعة ذاتية ، واحلام بطولية وهمية . لقـد اوقفت الكتاب الاول من الرواية لتقديم هذا التخبط المراهق ضمـن خصوصيته في البيئة العربية الثورية ، وهي الجامعة .

وهل لم يقرأ السيد طه البدر في مداخل علم النفس عن المشكلـة الجنسية لدى المراهق ، وخاصة المراهق العربي ، وهل من اللاواقع ان كثيرا من الشباب المراهق قد يختبىء تحت اقنعة ثورية ، فنية اجتماعية ليحقق لنفسه بديلا عن حرمان الذات من قيمتها ، عن حرمان الجنس مـن ارتوائـه ..

او يكون الامر الى هذا الحد مستهجنا وشاذا ان يحقق المراهـق بطولته في الميدان الجنسي ، بطولة غروره وضياعه .. وهل من المبالغة واللاواقع ان يعقد فرد فقير علاقة مع فتاة غنية تملك شيئا من حريتها .. ولماذا يحسب السيد طه البدر ، ان على الروائي ان يقدم حقائق بمستوى معرفة اي قارىء .. واذن كيف تكون تجربة الروائي اوسع من تلك التـي يملكها القارىء .. ومن قال لك ان على الروائي ان يقدم « حقائق » بالمعنى العلمي .. ولم تخش على عفاف مجتمعك العربي ، بينما انـت تدري ولا بد فضائحه الجنسية الخفية .. افكان يجب دائما ان نتحدث عن تجربة حب لصوصية ـ كما وصفتها انت ـ لتكون تجربة عربية !.

ولا بد ان السيد (طه البدر) يتمسك بواجب يحب ان يفرضـه على كل كاتب وهو واجب نظري محفوظ من الكتب ولا ريب .. انـه (تفاعل الفرد مع الظروف) .. ولست افهم كيف يود الناقد ان اصور له تفاعل الفرد مع الظروف .. أليس هناك من تفاعل ، الا تفاعل الجوع والفقر ؟ ولقد نسي السيد (طه البدر) انني انتقيت قسما من ابطال (جيل القدر) من طبقة بورجوازية ، وهي الطبقة السائدة في اكثـر مجتمعاتنا العربية وخاصة في دمشق .. وهـي الطبقـة التـي قـاد شبابها المثقف معركة النضال العربي ايام المستعمر ، وخلال الحكومـات اللاوطنية التي تتابعت على سوريا خاصة .

ولو طبق السيد طه البدر (نقده الماركسي) بفهمه الصحيح لوجد ان كل هذه التناقضات التي ابرزتها الرواية عند ابطالها من الشبـاب الجامعي المثقف ، هي من صميم تكوين هذه الطبقة ، التي يصفهـا بالبورجوازية . ولو انتبه الى طريقة عرض الاشخاص الشعبيين فـي الرواية لعثر على نموذج الشخصية البسيطة الجاهزة البعيدة عن التأزم الصاخب الداخلي .

ويقول الناقد ان كاتب الرواية يصر على اعتبار تحقق حرية الفرد معزولة عن الظروف .. ولست اعلم ماذا يعني بهذه الظروف .. لقـد كان الظرف واضحا في هذه الرواية ، وكان هو الجو العام الذي يتنفس فيه شخصيات الرواية ، كان جوا سياسيا مباشرا ، يبرز في ديكتاتورية الشيشكلي ، وكان هذا الظرف رمزا خارجيا للحصر الذي يعانيه الشاب العربي ، وبعد كان لي الحرية في ان اتابع تكوين الذات عند كل شاب خلال اخطائه وضلالاته العنجهية ، وهذه الهوى السحيقة التي كانـت تفصل فرديات هذا الجيل ، ونوع المواقف السلبية التي كانوا يقفونها من اعمال بعضهم بعضا ، ونوع الزيف الذي كانوا يخفـون وراءه ضعفهم البشري .. لقد كانت مأساتهم هي محاولة التخلص من هـذا الزيف ، والتكون على مستوى المرحلة التاريخية التي تمر بها امتـهم وانسانيتهم .. لم اقدمهم ابطالا ، جاهـزة بطولتهم ، وانمـا سـايرت واقعية هذا التكون ، وقد فشل البعض وقليل من نجح ..

وانتقل الان الى اكبر مغالطة حاول الناقد ان يوحي بها للقـاريء باصرار وعناد ، وهي اعفال حركة النمو في تجربة ابطال جيل القـدر وكنت اعتقد ان ابسط قارىء يمكن ان يدرك هذه الحركة وهي تتنقـل بين اجزاء الكتاب لتبلغ نهايته .

ولكن منطق المدرسة النقدية التي قيدت فكر الناقد جعلته يتجاهـل هذه الحركة الا اذا بدت من خلال صراع مادي صارخ .. افليـس في هذا منتهى التعنت في فرض قالب معين على الكاتب ، ان لم يحـشر امكانياته الفنية فيها ، كان كاتبا فرديا منعزلا ..

ولست هنا في مجال شرح هذه الحركة الداخلية الـتي طورت نمو التجربة الذاتية ضمن ابعادها القومية والانسانية ... ومع ذلك فانني اكتفي بمجرد الاشارة الى ذلك .

فلقد كان ظاهرا ان الكتاب الاول من الرواية قدم عدة نماذج اساسية من ابطالها هم (نبيل ، هيفاء ، ليلى ، حسان ، هاني) وهـم جمـلة شباب جامعيين ما عدا (هاني) ، متقاربين من حيث السن مختلفين من حيث الوسط والبيئة ، والاتجاه النفسي ، ولكنهم مشدودون جميـعا الى رغبة واحدة ، هي رغبة الجيل في ان يفعل شيئا ، في ان يربـط نفسه بمسؤوليات جسام . وكان كل منهم يصل الى هذا الشعور مـن خلال حياته وتكوينه الخاص . وهم في الاساس ، كما هو الجيل كله ، ذوو طموح لا يتناسب وامكانياتهم الحقيقية ، وذلك كان الصراع واليأس، وصرخات الفشل ، ثم التمـرد ، والكفر بالقيمة ، والايمان بالحـس المباشر ، والارتماء الى حضن الكآبة ، او الانطلاق الى الفن .. كل هذه المقولات عاشها جيل ما بعد النكبة .. ولا يمكنك انت ان تفرض عليـه غير ما هو كائن عليه فعلا وواقعا ، لمجرد ان اليأس والعزلة والحسيـة والسوداوية ، اشياء تجرح عفة المثل الاعلى ، او انها لا تليق بـ (جيل القدر) .. بل ماذا اقول لك ايها الاخ .. لقد كانت عظمة هذا الجيـل فعلا في هذا التمزق الانساني النبيل الذي تظل له طهارته وهـو في اعماق الدنس ، وتظل له بطولاته ، وهو في انياب الفشل ، وحضيض اليـأس ..

هذه اشياء لا يصح قولها اليس كذلك ؟؟

ولكنها هي نفسها التي تؤلف الجانب السلبي من قصة هذا الجيل.. ولعله جانـب لم يتشكل نقيضه بعد .

في الكتاب الاول حاولت ان اصور هذا الجانب ، حاولت ان ابرز المثالية الحالمة التي كانت لا تصبر على وجود حقيقة نسبية ، كـانـوا يتطلبون جميعا البطولة كلها ، النزاهة كلها ، البراءة كلها ولكـن ما ان يصطدموا بواقعهم النضالي . حتى يشدهم اليأس .. وهل استطعت يا صديقي ان تكشف ثمة معنى اخر لصرخات نبيل وهو يتهم النـاس جميعا ويحتقرهم ويتبرأ منهم ، ويقذف بنفسه الى احضان حسية ... الا يعني هذا عندك ان هذا الانسان لم يفعل ذلك الا لشدة تأله عـلى مثله الاعلى الذي تحطم ... اهذا الموقف يا صاحبي ، موقف عزلة ، او انه شيء تجريدي ، او انه لاواقعي .. فهل استطيع بعد ذلك ان اثق في حقيقة موقفك من هذه الرواية وابطالها ..

ولقد كان ليأس هؤلاء ان اجتمع عنده شباب كثر جاءوا ليفعلوا شيئا رغم اليأس ، ارادوا ان يقتلوا الديكتاتور ، هل قرأت جيدا لقـاء

هؤلاء ، هل استطعت الى حد ما ان تشارك هؤلاء التعساء الابرياء .. وما الذي يجعلك تقول ان هذا لا يحدث ..

ليس لديك الا سبب واحد ، وهو انك لا (تريد) ان تشاركهم ، كما انك لا (تريد) ان تحب هؤلاء الاشخاص ، لا (تريد) ان تفهم هذه الرواية ، لا (تريد) ان تعترف بقضاياها القومية والانسانية ، ولا باخلاص مؤلفها ، ولا بفنيتها ..

وبعد ذلك نضطر لان نقول ان نقدك هذا ، كان (نقدا) !

*

حاول الكتاب الاول ان يقدم تجربة بطولة وهمية خلط فيها الشاب بين غروره وحرمانه الجنسي وبين العمل القومي ، وانتهى به الامر الى اعداد قتل « رومانسي » تسبب في النهاية بفشل رومانسي . ولكن الكتاب الثاني يقدم مرحلة تقرب هؤلاء الشباب من الواقع ثانية . لقد كان ذلك الفشل سببا في بعث **الاصالة** لدى من لديه تلك الاصالة من شباب الجيل .. اضطر حسان ونبيل ان يرجعا الى انفسهما ، ان يبحثا عن علل الزيف في اعماقهما ، فكان ان بدأ حسان بنوعية من النضال الجديد ، بدأ من القاعدة الشعبية ، وهناك سعى لان يحطم قوقعته البورجوازية القديمة ، هل تنكر هذا .. هل تنكر مدى الاخلاص عند حسان في سبيل ان يصنع حقيقة صغيرة في بحران الكذب والزيف .. اراد ان يكون عاملا ، ولكن هل يستطيع فعلا ، لقد تبرأ من جزء كبير من شخصيته القديمة ، ومع ذلك بقي خاضعا لجزء اخر .. ومع ذلك فقد قاد حركة نضالية جديدة مظفرة .. واما نبيل فقد انتصر على مرضه الرئوي ، الذي كان صدى لتمزقه الروحي ، وحاول ان يعيش فردا له عزاء واحد هو الموسيقى ، ومع ذلك لم يلبث ان يجد نفسه ثانية عائدا الى قلب المعركة في دمشق ..

والرواية بعدئذ تجهد كي تقدم صورة داخلية متنوعة عن هذه الفترة المجيدة من نضال الشباب المثقف ضد حكم الطغيان ، وكان ان اجتمع « جيل القدر » ثانية في اصدق معركة خارجية ، بعد ان تم له شبه انتصار في معركة تكونه الذاتي ، وابرزت الرواية خلالها العديد من النماذج بين الشباب المناضل ..

وكان يمكن ان يجد السلام لنفوس هؤلاء الشباب طريقه ، وخاصة منهم ، اكثرهم تمزقا وقسوة على الذات والعالم معا ، وهو نبيل .. كان يمكن ذلك لو ان معركة تغلبهم على الطغيان ، قد تبعتها مرحلة بناء وصدق في الحكم التالي على انهيار الديكتاتورية . غير ان فشل الاستقرار السياسي القومي ، قد اعاد نوبة القلق واليأس الى نفوس هؤلاء الشباب، وكادت ان تتكرر مأساة التجربة الاولى ، وبينما خيم اليأس واللامبالاة على بعض الشباب الطليعيين ، اندفع نبيل هاربا بنفسه الى معركة صدق كبرى في الجزائر . ويأبى هنا كذلك طه البدر الا ان ينحرف بالتفسير الصحيح ، فيطمس هذه الحقيقة ، وهي ان نبيل قد نقل معه مرض عدم التصديق حتى الى جبهة الابطال الحقيقيين ، وانه راح بالعمل الثوري المباشر هناك يقنع نفسه بصدق المعركة بالنسبة لذاته . ولا اعلم كيف يبيح هذا الناقد ان يتهم الكاتب بانه يهاجم ثورة الجزائر ، بينما ورد في اكثر من مكان في الرواية ايمان البطل بعظمة هذه المعركة واعتقاده بانها « معركة عن العرب جميعا » وانها « وحدها المعركة الحقيقية » ...

واكثر مايبعث على السخرية والكآبة معا ان يذهب عقل الناقد الى فهم هذا النص على انه ضد الحرب الجزائرية وهو « اوه .. انني اريد ان يموت احدنا لانه يموت .. لانه هو هذا لموت ليس الا .. ثم انني اكره ان يموت احدنا من اجل الشعب الجزائري أو العراقي أو السوري .. ان العربي يموت اليوم لان هذا هو مصيره .. » فهل يعني هذا الا ان مصير العربي هو ان يكون الشهيد ..

ثم يتابع الناقد ايراد المناقشة بين نبيل وعامر ، احد القادة الجزائريين فيوحي للقارىء بمعنى لايمكن لعربي ان يلفظه ، ولكن الناقد لم يرد ان يرى في كلمات نبيل مبالغة منه في طلب البطولة .. كل هذا لانه يشعر باعماقه هو نفسه انه يمثل .. لم يقل الناقد ، ان هذه رغبة مخيفة في الصدق ، في البراءة .. وان مجرى الرواية كلها يبرر مثل هذا التفسير ، ولكنه حاول أن يضيق من افق الكلمة ، حتى لاتوحي الا بمعناها القاموسي المباشر ..

وينتقل الناقد بعدئذ لاعطاء درس في نوع الرواية المعتمدة على الشخصية او على الشخصية والحدث معا .. كل ذلك مما كان يدرس لطلاب الشعبة الادبية من الشهادة الثانوية عام « ١٨٥٠ » في مدارس الغرب ، اي في مطلع ظهور القصة ، وتحليل عناصرها الى مقدمة ، عقدة من الاحداث ، شخصيات ، خاتمة » .. وكما سبق ان قلت ، فان الناقد لايترك حتى للرواية شرف انتمائها الى فصيلة الرواية المعتمدة على الشخصية ، التي لم اسمع بها بعد ـ .

ويقع الناقد في الفقرة التالية في زاوية مخزية من النقد ويأتي بدليل ضد مزاعمه نفسها ، وهو يحسب انه يدعم هذه المزاعم ، فلقد اعتقد ان الكاتب يطلق احكاما قاسية على الناس ، ينفي الخير عنهم ، ينسف الانسانية بكاملها ، وذلك لان واحدا من خمسين شخصية في الرواية كان له نموذج البطل السلبي ، وكان يطلق مثل هذه الاحكام ، فهل هذا معناه ان الكاتب يتبنى كل مايقوله احد ابطاله . وكيف تغافل طه البدر عن كثير من الاوصاف التي كان يرميه بها كثير من الابطال الاخرين ، فكانوا يأخذون عليه ، كليلى وحسان ومحمد وهيفاء واخرين ، ماتأخذه انت على الكاتب نفسه . فانت اذن تصر على ان تحمل الكاتب تبعة احد ابطاله ، في الوقت الذي كان كثير من شخصيات الرواية ـ رواية الكاتب نفسه طبعا ! ـ تهاجم نبيل .. فأية روح ثقافية او موضوعية تلك التي املت عليك هذا التعمل المفضوح ..

ويقول الناقد ان كثيرا من الشخصيات المنحرفة قد صورها الكاتب باحكام قاطعة لاتبرير لها ، وانما حولها الى صور « كاريكاتورية » .. واي ضير ادبي او انساني في ذلك ، يامن تنصب نفسك مدافعا عن الثقافة والانسانية .. ولو تذكرت ان الرواية تحفل باكثر من خمسين شخصية ، وان هناك شخصيات هامشية يضطر الكاتب الى تصويرها من خلال زاوية احد ابطاله كيما يعطيها ملامحها السريعة ، ويضعها في مكانها من المنظر النفسي ـ الخارجي معا ، ولا بد ان يأتي تصوير هذه الشخصية مشوبا بحالة البطل من غضب وهياج ، كما هي حالة نبيل وهو في السجن عندما تتصالب الرؤية عنده مع شخصيتين من المساجين .. ان الناقد يبحث عن عيب ليجسمه باستمرار ، وقد اتى بنص الوصف لهاتين الشخصيتين « المجرم القاتل » و « الصحافي التاجر » .. وبدلا من ان يكشف عن قيمة الوصف الفنية ، وما يمكن ان تحيط به من قيمة انسانية، رماه مباشرة بانه تقريري قاس ، وهذه تهمة اخرى مفتعلة .. انها من وحي اسلوب نبيل في بعض احاديثه ، وهو جزء صغير بالنسبة للعديد من المواقف المختلفة الاخرى التي تتناسب وطبيعة الاشخاص الذين يحيونها . فهناك جو العطف والحنان والتحدي والقسوة .. كما يمكن ان يعانيه اي انسان في حياته العادية .

ويسرع الاخ الناقد كعادته في هذا المقال ، اليتيم الذي قرأته له ، ويستنتج حكما جامعا شاملا ـ وهو مايتهمني به ـ فيقول ان المؤلف يفرض نفسه على شخصياته ، وهو طبعا يريد ان يقول ان نبيل ، بطل الرواية هو الذي يفعل ذلك ..

ولنسلم معه بذلك ، ولنقل له بسرعة ان الاديب ليس صانع دراجات ، وانما هو كانسان يخلق اناسا اخرين لابد ان يتأثروا به ، واما لماذا يجعل الكاتب ابطاله يحبون او يكرهون ، يحيون او يموتون ، فذاك يرجع الى حركة الرواية ذاتها .

ولقد ماتت هيفاء منتحرة ، باندفاعة رومانسية ، كما كانت طبيعتها دائما ، منذ ان غامرت وهي طفلة مع بائع الجرائد الى ان احبت شابا فنانا ليس من طبقتها ، الى ان حاولت ان تقلده في عمله الثوري .. وكان موت هيفاء رمزا مجسما لانتهاء مرحلة اساسية في تجربة الجيل ، موت الوهم والمثالية الخيالية ..

ولا اعلم كيف فهم طه البدر ان نبيل قرر ان يضحي بها .. فلقد سر بها عندما استطاعت ان تكتشف استقلالها .. وهو لم يعد مسؤولا عن تصرفاتها ، فعبء الحرية قد يؤدي الى الموت ، خاصة اذا كان صاحبها

شابا خياليا .. او لم تسمع عن كثير من الشبان انتحروا او قتلوا او حرقوا ، وهم يحسبون انفسهم يغامرون في عالم غامض مليء بالعظمة والدهشة ....

ويرجع طه البدر الى تشريح طريقتي في تناول الشخصيات ، ويقول انني اعطي الشخصية دفعة واحدة ، وهنا يستعين الناقد ببعض نظريات حديثة عن نمو الشخصية وتفاعلها مع الاحداث وكيف انها ينبغي ان تكشف نفسها وتتطور دون تدخل الكاتب . وهي نظرية مقبولة . ولكن طه البدر ينسى ان يطبقها على الابطال الاساسيين الذين حاولت الرواية ان تتابع تطورهم وحركتهم الطبيعية ، مثل نبيل وحسان ومحمد وليلى ، ويطبقها على بعض شخصيات ثانوية لامجال لان تفرد الرواية لها فصولا خاصة ، والا لاصبحت الرواية روايات لاتنتهي .. هذا فيما يتعلق خاصة باعطاء شخصية « مأمون » اخي هيفاء ، الذي لادور له رئيسي .. ولكن يقع الناقد ثانية في برهان معاكس لنظريته تلك ، عندما يقسر نصا ، تتحدث فيه هيفاء عن حياتها قبل لقائها بنبيل ، يفسر هذا النص على التطابق مع نظريته ، بينما ، لو عرف الناقد ماينقد ، لادرك ان هذا الجزء من حياتها لايهم ازمة التجربة في لقائها بنبيل ، الا لتعطي بعض خطوط عامة لشخصية فتاة غنية عادية ، وكان نمو شخصيتها حافلا بعد اللقاء ذاك ..

ثم يعود الناقد الى ادانة الرواية كلها بجريرة نبيل .. والناقد لم يفهم من نبيل الا انه معاقر للخمرة ، مغازل للنساء ، متبجح مغرور ، وانه لادور له في الكفاح الذي يخوضه جيل القدر ، بينما تعامى عن جميع المعاني الاخرى لحياة هذه الشخصية ، واهمل جميع المواقف القومية والنضالية التي حفلت بها هذه الرواية .. كل ذلك في سبيل ان يقنع القارىء ان « جيل القدر » هي نبيل وحده .

و « جيل القدر » لاتحمل في رأي الناقد اية ميزة ، لا فنية ولا انسانية معنوية الى جانب هذاالجبل من السيئات ، التي اكتشفها فيها هذا الناقد « العصري » ..

ولا ننس بعد ذلك ان طه البدر قد حمل كذلك على تنوع اساليب السرد ، من حوار داخلي الى وصف خارجي الى رسائل ومذكرات .. اي « كل تلك الاساليب التي عرفتها الرواية الانسانية منذ ان خلقت » . ولست املك ردا على ذلك ، الا ان اشير الان ، وقد حان الوقت ، الى معنى الموقف النقدي ، الذي تلبسه طه البدر . فلو ان هذا السيد كان من مصاف الادباء ، وليس مجرد مثقف فحسب (1) ، وكان من النقاد الذين يقدرون مسؤولية الاطلاع على مختلف الآثار الادبية ، وخاصة منها مايتعلق بالرواية المعاصرة العالمية ، كما هو المفروض في كل ناقد يريد لاحكامه ان يكون لها أثرها الايجابي او السلبي الفعال ، لعرف ان من ميزات « الرواية المعاصرة » ماكان اعتبره هو مآخذ وأخطاء فادحة فنية في جيل القدر . ولا احب ان اعدد له الامثلة في ذلك ، اذ ليس هذا مجال اعطاء الدروس ، كما فعل هو . ولو كان له هذا الاطلاع ، حتى من الكتب المترجمة ،ان كان لايعرف لغة اجنبية ، لادرك كذلك ان مجموعة القواعد النقدية التي حفظها متناقضة متعاكسة ، من ماركسية ومدرسية محافظة ومصرية من النصف الاول للقرن ونفسية اجتماعية سطحية ، هذه القواعد لاتصلح بمجموعها ان تطبق على مثل رواية جيل القدر التي كان من حظها ان تكون يتيمة ضائعة في بحران ادبنا العربي ونقاده الاشاوس .

انها قواعد قد تنطبق علىرواية « دعاء الكروان » لطه حسين ، فهناك جميع قواعد الوحدات متوفرة ، ورواية « البؤساء » لـ « فكتور هوغو » من النصف الاول للقرن التاسع عشر . واما اعمال (مالرو) و (شتاينبك) و « فولكنر » و « سارتر » فانها عامرة بالغموض ، مشوشة الاسلوب ، تجريدية شكلية ، شخصياتها ضائعون مغرورون ، جوها ذهني ، حركتها مضجرة قاتلة ، حتى ان احد قراء رواية « الصخب والغضب » لـ « فولكنر » حاول ان يرمي بنفسه من النافذة لشدة وطأة كابوسها .. أليس كذلك ؟

دع عنك يا سيد « طه » هذه المشاق ، واترك انتاجنا في سلام، نحن التجريديين السوداويين ، ذوي الثقافة الغربية المأفونة .! ولتنعم انت بقواعدك النقدية وقيمك القومية البطولية !

دمشق — مطاع صفدي

(1) لم يسبق لي ان عرفت ثمة آثارا ادبية للسيد طه البدر ، نقدية او ابداعية

عودة الى مأساة الاديب العربي

بقلم فاضل السباعي

عرفت قبل اليوم الاديب الاستاذ عبد اللطيف شرارة ، من خلال ما كتب من مقالات وابحاث في مختلف المجلات التي تصدر عن بيروت ، كاتبا واسع الثقافة قويم النظر . لذلك كان عجبي كبيرا عندما قرأت نقده لمقالي « مأساة الاديب العربي » ، ذلك النقد الذي اتسم بطابع السطحية من جهة ، وبالتعالي و « التأستذ » من جهة اخرى . وقد وجدت نفسي مضطرا لجلاء بعض النقاط التي اوردها في تعليقه ، اخلاصا مني للحقيقة والواقع .

١ ـ قلت في مستهل مقالي : « يعاني الاديب ، والكتاب عامة ، في البلاد العربية من اعراض ازمة شديدة قاهرة تتجلى في ضيق عدد الجمهور القاريء لما ينشر باللغة العربية من كتب ادبية ليس يقبل عليها الا الخاصة من المثقفين رواد الاطلاع على النتاج الادبي الجيد..» (الاداب ، عدد آب ـ اغسطس ١٩٦) .

ويرى الاديب شرارة « ان هذا كلام مبالغ فيه ، ويظهر وجه المبالغة ، اذا نحن نظرنا الى اوضاع الادباء المنتجين ، سواء في الجمهورية العربية المتحدة او العراق او لبنان و شمال افريقيا ، فما من اديب اشتهر واعطى وانتج الا ونال من تقدير الجمهور ما يتناسب مع انتاجه وعطائه » (الاداب ، عدد ايلول ـ سبتمبر ١٩٦٠) .

واذا كان الناقد يصف كلامي بالمبالغة ، فان رده جاء خلوا مما يثبت مدعاه ، بل انه لينطوي على الضعف الذي يهبط بحجته الى مستوى التهافت . فأين هم الادباء الذين نالوا من تقدير الجمهور في البلاد التي ذكر ؟ لنترك مبدئيا الافريقيين العرب الذين نالوا تقدير الجمهور العربي ؟

ان في شمالي افريقيا بضع عشرات من ملايين البشر ، فمن من ادبائهم لاقى التقدير المزعوم من الجمهور العربي القاريء ؟ اننا لا نكاد نعرف من ادبهم شيئا ، اللهم سوى بعض الاسماء التي نقرؤها احيانا في مقال عابر يتحدث كاتبه عن ادباء افريقيا العربية.. واما ادبهم وكتبهم ومجلاتهم ، فلا تصل الينا قط . فاذا كنا نحن ادباء العرب في المشرق لا نقرأ لادبائنا المغاربة ، أيكون هذا من قبيل التقدير ؟.

ولنعد الى مصر ، الى القاهرة قبلة العالم العربي في مضمار الادب. اتظن ان كل اديب انبثق عنها لقي التقدير العريض ؟ نعم ، هو يلقاه ـ وفي مطلع شبابه ـ اذا كان « ادبه » من ذلك النوع الذي يستقطب الجنس . واما الادب الرصين ، فهل يلقى الرواج من القراء والتقدير دائما ؟ لنذكر نجيب محفوظ ، ولنتساءل معا ، بكل بساطة ، عن تقدير الجمهور العربي لادبه : كم من السنين تأخرت عنه الشهرة وذيوع الصيت ؟ عشرا من السنين ام عشرين ؟ وهل كانت الشهرة تسعى اليه ـ بعد هذا الحين كله ـ لولا ان دعمته حكومة الثورة واسهمت في تقديره ؟

اما يحيى حقي ، فقد ظل مغمورا فترة شبابه وكهولته جميعا ، وما اصاب التقدير الا وهو يدلف الى الشيخوخة .

وانت يا اخي الناقد الذي يراني مبالغا ، امتفائل حقا من اوضاع الادباء العرب وتقدير الجمهور لهم ولادبهم ؟ ايحملك على التفاؤل علمك بان ايا من المجلات الادبية العربية لا توزع في اقطار العرب

اكثر من ثلاثة الاف نسخة ، ان لم يكن قريبا من الالف الواحد اودونها ، مما يجعلها في غير استطاعة لان تدفع لكتابها مكافأة او اى تقدير مادي ، بل انها لتضطر الى ان تلقي ببعض عبئها على المؤسسات الثقافية او الحكومات تغطية لنفقاتها ومنعا لها من الدمار ؟؟ اما جاءك العلم بان ارقى مجلة ثقافية عربية ـ تلك التي تصدر عن وزارة الثقافة بالقاهرة وتتقاضاها مبالغ باهظة ـ لا يشتريها من القراء الا عدد منهم ضئيل مذهل ؟

٢ ـ خلصت في استعراضي لازمة الاديب العربي ، من قلة في القراء المقدرين للنتاج الادبي الرصين ، ومن عدم اقبال الناشرين على نشر مثل هذا الادب الا بحدود وقيود ، ومن استغراق العمل اليومي للاديب مما لا يتيح له الاطلاع الواسع والكتابة الرصينة . خلصت من كل ذلك الى ضرورة ان تسبغ الحكومات العربية على الاديب رعايتها بالاخذ بالنظام الذي سمي بـ « نظام التفرغ » ، حيث يتاح للاديب « ان يسكب في الكلمة روحه وفكره وذاته جميعا ، ويتخير قبل ذلك موضوعه تخيرا رشيدا واعيا ، فيلد اذ ذاك الاثر وفي طياته بذرة الخلود .... »

الا ان الاستاذ الناقد لا يرى ـ في مراس الاديب عملا يوميا يقيم اوده ـ « اي ضرر على الادب او الاديب : لقد كان شوقي نفسه موظفا ، ووظيفته لم تحل دون شاعريته ، وبول كلوديل كان سفيرا لفرنسا في واشنطن .. »

لقد اذكرني هذا القول بالعبارة المشهورة التي اطلقتها ماري انطوانيت عندما زحفت جماهير الشعب الجائعة الى قصرها !!

كان شوقي موظفا ووظيفته لم تحل دون شاعريته !! اذن ، فشرارة يعتقد اننا ننادي بانقاذ الاديب من مثل وظيفة شوقي رئيس ديوان الخديوي ؟ يا للبرج العاجي ! الا يعلم ان بين ادباء اليوم الشباب موظفون يعملون معلمين في قرى بعيدة تكاد تقطع ما بينهم وبين اسباب الحياة المدنية ، فهم لا يعيشون في بيروت ـ التي يعيش فيها شرارة ـ قريبا من الكتب والمكتبات والادباء والمفكرين ؟ الا يعلم ان بين ادباء الشباب عمالا يستنفد عملهم اليومي طاقاتهم الجسدية والفكرية ، ثم هم لا يملكون ثمنا لكتاب او مجلة ؟

انت اعطني ديوان شوقي وسفارة صاحبك كلوديل، وخذ مني في الغدادبا خيرا مما اكتب اليوم . كيف فاتك ان ما وصل اليه شوقي من ابداع خالد انما كان بفضل رعاية القصر ، فلم يكن شوقي ليفكر بلقمة الخبز كيف يؤمنها لصغاره او متى سيسد عجز مصروف الشهر الماضي !

ترى كم من شاعر كان يمكن ان يقف امام شوقي وقفة الند لو انه ـ الاخر ـ لقي من الرعاية ما لقي امير الشعراء ؟ الا تعتقد ان بؤس حافظ كان في جملة العوامل في قصوره عن شأو معاصره ؟

ارجو الا يفهم من قولي اني اعتبر رفاهية الاديب شرطا لابداعه . لا ، هذا لا يدور في خاطري ، بل اني من المؤمنين بان البؤس والاحساس بالعذاب من شرائط الابداع . ولقد افدت ـ شخصيا ـ خلال سنتين ماضيتين من البؤس والعذاب ما احسست معه بان رصيدي من التجارب « الحياتية » قد لفحته شمس النضج .. ولكن الخوف كل الخوف ان يظل الاديب في بؤسه وعذابه ، فاذا المواهب قد ماتت،واليأس تسرب الى الاعماق ، وشعلة الابداع انطفأت ، ولم يعد ثمة اديب !

واما ان روائيين قد لاقوا العذاب والشقاء وابدعوا ، كفوركي ودستويفسكي وديكنز وسواهم ، فهذا ليس مما يقاس عليه . فان الى جوار الذين عاشوا في الشقاء وابدعوا ، عددا هائلا ممن قتل الشقاء مواهبهم ولم يصلنا خبرهم . هذا الى ان للاديب الغربي الذي يسفر عن موهبة ظروفا غير ظروفنا العربية ، فان اديبا شابا موهوبا في بلاد الغرب يستطيع ان يدفع عن نفسه الفاقة بما ينشر في المجلات التي تدفع له مقابلا لما يكتب ، وليست هذه المجلات في بلادنا ! وتشيخوف الذي لم يلاق النجاح المعنوي في حياته ، وجد نفسه ـ رغم ذلك ـ قادرا على ان يعيش من دخله مما يكتب في المجلات والصحف ، فهجر الطب غير آسف متفرغا لوضع الاقصوصة ... فهل فعل ذلك الدكتور يوسف ادريس ، ام انه هجر الطب لممارسة « الصحافة » لا الادب ؟

٣ ـ في ضمير الناقد شرارة رأي طويل حول جائزة نوبل ، فاذا هو يعلنه من غير ما داع سوى من ورود عبارة في مقالي عرضا.

قلت في معرض الحديث عن استغراق الاديب بعمله اليومي ، ان ضيق وقته يحول ما بينه وبين « الاطلاع وتثقيف فكره ، فاذا ثقافته ضحلة قريبة ، واذا انتاجه الادبي ـ على مر الايام ـ لا يبلغ المستوى الرفيع المقدر . ومن هنا كان ادبنا العربي الحديث دون المستوى العالمي .. والا ، من من المفكرين العرب نال جائزة نوبل مثلا ؟ » .

وقال شرارة في تعليقه : « لا يصح اعتبار جائزة نوبل شهادة نهائية على سمو ادب من ينالها ، ولا يجوز الاطمئنان النهائي الى سلامة اختيار من يختارون لها .. ..» .

ولكني ، يا اخي الناقد ، لم اجعل نيل جائزة نوبل « شهادة نهائية » او غير نهائية على سمو ادب من ينالها . قلت ان ادبنا العربي دون المستوى العالمي ، وذلك عائد لعدم تفرغ الاديب . واما ان احدا من المفكرين العرب لم ينل هذه الجائزة فتلك حقيقة لا بأس من ان تساق لدى التدليل . واما تكهنك بان « اديبا عربيا او افريقيا او اسيويا لن ينالها بعد اليوم ... » فدع هذا التكهن لنفسك ، فقد نالها بعض من ذكرت ، ولعل عربيا ينالها هذه السنة او الاعوام القادمات . وها هي ذي مؤسساتنا الثقافية ترشح بعض ادبائنا هذا العام .

٤ ـ تحدثت في مقالي عن الاركان التي ينهض عليها الادب الجيد ، وزعمت انها : « الموهبة والثقافة والممارسة » ، وقلت « ولعل الموهبة تتجلى في القصة ـ وهي ما اود الحديث عنه ـ اكثر مما تتجلى في سائر الفنون الكتابية عدا الشعر » .

فقال الناقد معلقا : « هذا لرأي مخالف لواقع الاشياء ، فالموهبة تتجلى في جميع الانواع الادبية ، من الرسالة ، الى الخطبة ، الى الدراسة ، الى المقالة ، الى القصيدة ، الى المسرحية ، الى الاقصوصية ، الى القصة ، الى الرواية ، الى البحث الفلسفي ... » ، وساق الحجج على موهبة برتراند رسل وافلاطون والحجاج الثقفي.

ومن الرجوع الى عبارتي الواردة يتضح اني لم اخص القصة بالموهبة. فانا لم اقل : تتجلى الموهبة في القصة وحدها دون سائر الفنون ، حتى يجيء التعليق على هذه الشاكلة ، ولكني زعمت ان « الموهبة تتجلى في القصة اكثر مما تتجلى في سائر الفنون الكتابية عن الشعر .. » ففي سائر الفنون موهبة ، ولكنها ـ في زعمي ـ في القصة والشعر اظهر . والقضية بعد هذا تحتمل الجدال فلم اقطع فيها براي .

على ان ما احب ان الفت اليه نظر الناقد الكريم ، انه يدلل على خطل رأيي بتجلي الموهبة في المسرحية والاقصوصة والرواية » فضلا عن القصة . وفاته اني لم اقصد بكلمة « القصة » معنى ضيقا ، وانما عنيت بالقصة ـ كما هو واضح في سائر مقالي ـ ذلك العمل الروائي الذي يعتمد على « موهبة القص » ، وموهبة القص هي في الاقصوصة والرواية والمسرحية جميعا ، تلك الفنون التي تنهل من ورد واحد مهما اختلفت التسمية وتباينت الوسيلة الفنية للتعبير الادبي . واصطلاح « القصة » في العربية ليس ذا مدلول فني دقيق ، فالقصة ان قصرت سميناها « اقصوصة » ، وان طالت سميت « رواية » ... ومن يقرأ مقالي يتضح له اني عنيت القصة بمعناها الواسع الفضفاض .

يبقى من الفنون الكتابية التي ذكر الناقد : الرسالة والخطبة والدراسة والمقالة والبحث الفلسفي . وانا لم اجردها من الموهبة، فكل فن ابن للموهبة قبل كل شيء . اما ان هذه الفنون ـ كتابة الرسالة وتحبير الخطة ، ووضع المقالة والدراسة الادبية او الفلسفية ـ تحتاج الموهبة بالقدر ذاته الذي تتطلبه القصيدة والقصة ، فذلك مردود على صاحبه ، ولو قدر له ان يعيش التجربة القصصية او الشعرية لما

قال بذلك قط .

٥ ـ ان الاديب الذي يطمح الى التقدم والارتقاء بأدبه يكون دائم الانشغال بالاثار الادبية التي ابدعتها العقول العبقرية الماضية ، فهو يدرسها ويجتهد في استجلاء حقيقة جوهرها واستشفاف اسرارها الفنية .

واني واحد ممن يعجبون بالعبقري تشيخوف . قلت في مقالي : «اني كلما فرغت من عمل ادبي صغير وضعته ، تجسد لي ضعفه وتهافته ، وهممت بان القمه النار تشفيا .. اهذا ادب يستحق الخلود ؟! احدث نفسي : اترقى هذه القصة الى بعض ما بلغ تشيخوف العظيم ؟! فلماذا اكتب ما ليس جديرا بالخلود ؟! »

قال الناقد : والسباعي عندما يقول ذلك « انما يثرثر ، ولا يقول شيئا ! » .

شكرا يا استاذي !!

ويسدي الي نصيحة : « عليه اولا ان لا يقارن ما ينتجه بما انتجه تشيخوف ، والا اضطر الى الياس من نفسه ، فهو بعد كل حساب لم يولد في طاغروغ ، ولا تعلم الطب ، ولا تنقل بين يالطا واوديسا وموسكو والروسية ليست لغته ، ولا مرض ـ لا سمح الله ـ كما مرض تشيخوف ، ولا انتسجت بينه وبين غوركي الصداقة التي نشأت بين غوركي وتشيخوف ... » .

يا للنظرة التي اتمنى ان تكون اكثر اتساعا ! لقد ظن الناقد ان اكون نسخة من تشيخوف ، لذلك تطلب مني ان اعيش ظروف حياته جميعا . لقد علمت ان جميع الادباء في العالم يتتلمذون على من سبقهم من العظماء ، ولكن احدا منهم لم يصبح ، او يفكر في ان يصبح ، ذلك الاديب السابق نفسه ، فان من طبيعة الاشياء الا يستطيع الانسان ان يكون انسانا سواه ، او يكون الاديب اديبا اخر !!

ثم لا تخش علي يا ناقدي ، من اليأس . فانا لا القم قصصي النار بعد فراغي من وضعها . قلت : « هممت بان ..» . وانما قصدت الى التعبير عن احساسي بضعفي فيما انا ماض في طريقي لا الوى .

هذا الاحساس بالضعف ـ لا الياس ـ يشعر به كل اديب . اني اقرأ طه حسين فاتمنى ان تكون لي لغته الصافية ، وأقرء العقاد فاتمنى ان اوتى دقة تفكيره ، واقرأ نزار قباني فتعجبني صوره الماتعة ، واقرأ فلوبير فيأسرني تحليله الرائع ..... واما تولستوي الخالد ، فان انسانيته وفنه مجتمعين يدفعانني الى البكاء في بعض الليالي !!

كان برنارد شو كلما عاد الى مسرحيات تشيخوف يقرؤها ويمعن في حوارها ، شعر بالاسى وبالضعف . وابو العلاء المعري ، كان في بعض ساعات تجليه اذا قريء عليه القرآن ، بكي وضرب وجهه وقال : ليس هذا بكلام انه كلام الله . ومع هذا الشعور صعد شو والمعري الى اسمى درجات الفن .

٦ ـ كانت الغاية التي استهدفتها من مقالي الدعوة لنظام التفرغ .

وخالفني في ذلك الناقد ، فقال : « لا ، ليس في حياة الاديب العربي المعاصر ما يدعو الى الرثاء والالم ، ولا هو من واقع امره في مأساة ، فالمجتمعات العربية تتجه في طريق صحيح نحو الافادة من الادب ، واعلاء شأن الاديب ، ولكن عليها ان تمر بالصعوبات والمتاعب والمشاق التي مرت بها جميع الامم المتحضرة الحديثة ، وعلى الادباء ان يتحملوا مما يتحمله غيرهم من ابناء الشعب وفئاته في جميع الحقول والميادين » .

وهذا ـ فيما يبدو لي ـ منطق عجيب غاية العجب . انه يطلب من الادباء ان يتحملوا ... وماذا تراهم يتحملون ؟ الالم لا شك ، فليس يطلب منهم ان يتحملوا السعادة مثلا ! ولكنه قال قبيل ذلك ان ليس في حياة الاديب العربي ما يدعو الى الرثاء والالم .

اذن ، فاديبنا العربي يعاني ـ على كل حال ـ ما يدعو الى التحمل . وانا انادي لانتشاله من هذا الذي يتحمل .. احض الحكومات والمجتمعات العربية ـ بصوتي الضعيف ـ على رعاية الادباء والاستفادة من الادب .

نعم ، ان الحكومات والمجتمعات تحاول ان تستفيد ، وانا ـ وغيري من دعاة التفرغ ـ نحضها على الاستزادة من ذلك بالاخذ بهذا النظام . فكاني بالاستاذ الناقد يريد ان يقول : ينبغي الا تفلو المجتمعات العربية في رعاية الاديب ، وذلك كيما يتسنى له ان يتحمل مما يتحمل سائر ابناء الشعب وفئاته !

وهذا منطق « خلفي » ـ ولا اقول رجعي ، لان الاديب عبد اللطيف شرارة محسوب على التقدميين ـ ولو نحن سرنا في هذا المنطق ، لانقدنا الى سلسلة من التهريفات العجيبة تقتضي منا ان نقول : ما للعمال يطالبون برفع الاجور وتقاضي المكافآت والتامين ضد العجز والشيخوخة؟ وما للفلاحين يطالبون بتملك الاراضي الزراعية ؟ وما للمزارعين يطالبون بقانون تنظيم العلاقات الزراعية الذي يحميهم من استغلال مالك الارض؟ ما لهذه الفئات تطالب بهذه القوانين ؟ ان على مجتمعاتهم ان « تمر بالصعوبات والمتاعب والمشاق التي مرت بها جميع الامم المتحضرة الحديثة (بدءا من اقطاعية روسيا القيصرية ورأسمالية اوروبا في القرن التاسع عشر) ، وعلى هذه الفئات ان تتحمل مما يتحمله غيرها من ابناء الشعب في جميع الحقول والميادين » ..

فتاملوا ، يا قوم !

وبعد ، يا عزيزي الناقد .

انت تدعو ، اذن ، الى ان يظل الادباء العرب يتحملون العناء قبل ان يبلغوا بر الامان الذي ينجيهم من هذا العناء . او انت تظن ان ليس في حياتهم ما يدعو الى الرثاء . فانت اذن لا تعرف اوضاعهم على حقيقتها . انك تحيا في بيروت ، قريبا من دور النشر . ولعلك تتخذ من الوظيفة او التدريس مهنة رئيسية لك . واما الادب ، فانه يدر عليك ربحا لا شك فيه ، فبحسبك ما تترجم من كتب وروايات لمختلف دور النشر ، تتوجها تارة باسمك وتغفلها اخرى ، وتتقاضى عليها في الحالين من المكافآت مايغنيك ويقض حاجتك . وليتك تعلم ان عددا كبيرا من الادباء الفوا الكتب بعد الجهد والسهر ، ثم ضلت بهم الطريق الى النشر ، الا اذا اقتطعوا من وقت يومهم ما يكفي لمؤازرة الدار في نشر الكتاب . ولتعلم ان كتبا عديدة معربة ما تزال مطوية في ادراج مكاتب الادباء في مختلف المدن العربية ، فلا يجد ناقلوها من يقبل على نشرها.. فدور النشر في بيروت ـ مثلا ـ تفضل ما يترجم لها عبد اللطيف شرارة الصديق ، على جورج سالم الشاب الاديب المثقف الذي يدرس الادب في الثانويات الرسمية هناك .. في حلب !

اني ادعو الى التفرغ لاني أومن ان فيه تفريجا لكربة الاديب . وعندما ادعو اليه ،فليس من اجل ان يستفيد منه السيد عبد اللطيف شرارة فهو عنه في كل غناء ... ولكن من اجل اصدقائي قصاصي الاقليم السوري الذين ارهقهم السهر ، فهم يلوبون عن المكان الامين الذي يخلدون فيه الى السكينة ليضعوا اثارهم في مخاض طبيعي . ادعو اليه من اجل عيون الاصدقاء : جان الكسان ، وصفدي ، وتامر ، وجورج سالم ، وبغدادي ، والشيتي ، والكياليين ، وبدور ، وعبد الرحمن البيك ، وفاتح المدرس ، وحورانية ، وابو شنب ، وزرزور ، ومحيي الدين صبحي ، ورفاعية ، ومينة .... وسائر الكتاب ـ على شتى الميول والعقائد ـ في اقليمنا وفي اقطار العرب .

واما الادباء الذين يرفضون نظام التفرغ فانهم ـ في رايي ـ ما بين خائف ان ينكشف مع التفرغ خواؤهم من الابداع .. وبين من هم في غنية عنه في اوضاعهم الراهنة ، فلا كان تفرغ ما داموا شبعى متخمين !

ان الادباء العرب ، يا صديقي عبد اللطيف ، يعيشون في مأساة . ومن بعض المأساة ان ينكرها اديب كنت احسب انه عارف بالامور . واما رميك اياي « بالغربة عن الحياة الادبية » ، فذلك من بعض « الارهاب الفكري » الذي يعانيه الاديب العربي المعاصر ..... ثم ، اني ادع للقارىء ان يشير باصبعه نحو أي منا احق بأن يوصم بالغربة .

ولك سلامي .

فاضل السباعي

حول ازمة القصـــة العربية

بقلم محمد فضل بكاب

* ماتت القصة العربية في الاقليم الجنوبي !
* توقف تيار الواقعية لتوقف « اعلامها » عن الكتابة !
* جميع ما انتجت من القصص سيء وفج وسمج ومتخم صفـــارا وتفاهـــة !

هذه هي اهم الاحكام التي شارك بها الاديب الناقد محيي الدين محمد في « زوبعة » ازمة القصة العربية . ذلك خلال دفاعه لاثبات حيـــاة القصة العربية على صفحات الاداب الغراء . .

وقبل ان نناقش هذه الاحكام لا يسعنا الا ان نقول ان « محيي » وقف في تطرفه عن يمين الدكتور حنفي لانه اراد ان يرفع الصخـرة لتسقط على قدميه ! لقد اراد ان يدافع عن حياة القصة العربيـــة فحكم .. بالاعدام عليها في الاقليم الجنوبي حتى اختلط علينا معرفـة ايهما « القاضي » وايهما « المتهم » ؟ محيي ام حنفي ؟؟ ان الحكم بان « مستوى المنشور من القصص سيىء واعلاني وسمج ومتخم صفـارا وتفاهة » حكم خارج عن نطاق المجال النقدي للادب . اذا اعتبرنـــا هذه الصفات المرصوصة وثائق للحكم لانها صفات لها اعتباريات ـــا فقط في مجال السب ! اما في مجال النقد الادبي فهي لا تعبر الا عـن « النزوة السريعة » والتخبط داخل الـــزوبعة .. علنا نجد السلم للصعود على منبر النقد !!

ان عملية النقد الادبي « عملية انتقاء » صعبة ومن ثم كـانت المعاناة في مزاولة عملية النقد ، فجميع الروافـــد الادبية لا بد وان تحمل في احشائها لاليء انسانية .. وما كان ذلك الا لان الادب منبعه الانسان .. والناقد الذي يستحق شرف التسمية بهذا الاسم هـــو الذي يستطيع .. ببصر الفنان وبصيرة الذوق الفني ان يختـــرق حواجز الامواج او طبقات الركود ليصل الى القاع ليلتقي تلك اللاليء من بين نرسبات الطامي وتكومات الاحار !! اما ان نقف ونشير من بعيد ان لا هناك في القاع الا الطين فهذا هو العجز .. عجز « الغطـــاس » او عجز الناقد .. الحكم بان القصة العربية التي انتجها الادبـــاء الشباب في الاقليم الجنوبي قصص تافهة .. والوصول الى الحكـــم عليها بالاعدام حكم بعيد عن ضمير العدالة النقدية .. ومفهوم سيىء لوظيفة النقد التي هي البناء ..

ان مصـــادر حيثيات النـــاقد في حكمه هو الاثر الفني .. لا « عنوانه » فالناقد يطرح الانتاج على مشرحة النقد ويبصرنا عـلى مكونات هذا الانتاج في جانبيه .. المضموني والشكلي .. ولكن ناقدنا محيي الدين اكتفى بذكر اسماء المجموعات القصصية التي صـــدرت في الاقليم الجنوبي على يد الكتاب الشباب . ذلك دون ان يكبـــد نفسه مشقة قراءتها . ظنا منه اننا سنكتفي بذرف بضع دمعات فوق جثة الشهيدة .. القصة العربية .. رحمها الله .. وعفا الله عنـه !!

ان الواقعية فرضت نفسها على الادباء الشباب بحكم وجودهم فـي القرن العشرين .. وهؤلاء ما كان لهم الا ان يكونوا واقعيين .. لانهـــم فتحوا عيونهم على اثار حرب عالمية مريرة وعاصروا اخرى وجها لوجه . وتفتقت افئدتهم على ضجيج الحياة الجديدة . وامتصت ضمائرهـــم الام الانسان الجديد في الارض .. وامله في الغد !. هؤلاء ما كانـــت واقعيتهم ادعاء لان الواقعية تتنافى ولا تتفق مع النفاق ! ولذا قد لبسوا « قمصان الدم » وساروا على الشوك فوق « ارض المعركة » لحمايـــة « الارض » من اعدائها . ووهبوا الحب « لجمهوريـــة فرحـــات » وكشفوا الستر عن « ارخص ليالي » وعانقوا في ثقة طيبة الانسـان العامل في الريف وشاركوه آلامه وآماله وصوروه فـي داخـــل اطار « الصـــورة » الحقيقية للانســان .. وغنوا معه « الموال » واستقبلوا الفجر علـــى صياح « الديك الاحمر » وعانقوا السنابـــل في حنان بقلوب بيضاء كالقطن .. انهـم عايشـوا ذلـــك الانســـان البسيط ـ التافه في نظر ناقدنا ـ بين ازقات قلعة الكبش وبوابـــة المتولي وكشفوا عن مكامن التناقض الذي يجذبه الى الشر رغـم عنصره الخير فراحوا يباركون غد هذا الانسان في « صباحية مباركة » .

ان الانتاج القصصي للشباب هنا في الاقليم الجنوبي كان ولا يزال هو جزءا من الوجه الخير المشرق للادب . وهو بالتالي الوجه الوحيد المعارض لادب الظلامية واليأس .. « أليس كذلك ؟ » ان صديقنا محيي الدين يعترف بانهم حاملو « اعباء الرجل المرتبط بالارض » !! ولسنا ندعـى بان الواقعية قد ارست كل مراسيها على شواطيء مجالنا الادبـي .. ولا نملك ان ندعي ان ادباءنا الشباب قد اكتمل نضجهم الفنـــي ووصل حد الجنى النهائي ـ اذا كان للنضج نهاية ! ـ لكننا نعتقـد جازمين بان موهبة خصبة واصيلة قد اكتملت خلقتها التكوينية . غير انها ما زالت تحبو في تؤدة وتنمو في اطراد واحسسنا شموخها وهي لم تزل في مهدها متمثلة في المجموعات التي اصدرها ادباء القصة الشباب .. تلك المجموعات التي عرضنا جانبها المضموني والتي كانت تتفاوت فـي جانبها الشكلي من قاص لاخر .. ومن قصة الى اخرى ..

ان الحكم على كل انتاج ادباء الشباب بانها « ريبورتاجات ريفيـة » مقالة عنيدة .. وتأكيد « للنزوة السريعة » التي دفعت ناقدنا الـى هذا الحكم العريض الجماعي .. اليس من المستغرب ان لا تكون قصـة واحدة جيدة في كل تلك المجاميع ؟؟ أليس من المدهش حقا ان تكـون كل منتجات ادب الشباب في القصة افتعالا مصطنعا ؟ يبدو ان صديقنا الناقد اكتفى بالقاء نظرة سريعة على غلافات هذه المجاميع .. وكفـى الله النقاد معاناة التمحيص !! وثمة قضية اخرى غريبة طرحها محيي الدين في شجاعة .. ولكن بدون سند علمي ايضا ! يقول الناقد ان تيار الواقعية توقف في الاقليم الجنـــوبي .. ذلك نتيجة لتـــوقف « اعلامها » عن الكتابة .. وهذا امر اخر عجيب !. كيف توقف تيـار الواقعية يا سيدي .. ومن اين لك التقييم العلمي لذلك ؟؟ وايـــن اسس هذا الحكم وعلام نستند ؟؟ لا شيء .. هكذا « خبط لزق » !! اننا لا نستطيع ان نقول ـ ايام التحاريق بان « بحيرة البرت » نضبت فيها المياه !!

ان الواقعية تيار يغطي سطح ارضية ادبنا الان وقد فرضـــت حتى على خصومها الاعتراف المكره بها .. ذلك لانها المرآة الناصعة ينعكس عليها وجه الحياة المشرق المتشح بالتفاؤل والامل !! ومن ثم كانت الواقعية تيارا جرف امام تدفقها كل السدود والسدم والقى بكل معوقات المجرى في منحنيات نهر الحياة .. فكثيرة تلك الاسلحة التي صدئت فـــي محاربة الواقعية .. لكننا نامح الان في خلال معركة ازمة القصـــة سلاحا جديدا .. هو « سلاح الاشارة » بان هؤلاء تلامذة جوركي !! .. والحقيقة ان هذا السلاح فاسد وصدىء ولا يجدي فتيـلا « لماكارثية النقد » في معركتها .. لم تعد استاذية جوركي والتلمذة في مدرسته شيئا خطيرا يستدعي كل هذا النفر ـ لا النقد !

ان كل النقاد المخلصين يقرون في اجلال انسانية مدرسة جوركـي في الادب .. بيد ان الكثيرين منهم قد يختلفون معه في الطريقة والهدف واذا وجد من بين ادبائنا من يتسم عمله الفني بالوان مـن منهـــج جوركي .. فهذا هو نتاج تاثير الواقع على ادبائنا .. وهذا الواقـــع نفسه هو الذي اثر على جوركي من قبل .. انها الواقعية الجديدة .. تيار لن يتوقف .. و «نصب ممتاز » يمكن ان يؤله !! ما دامـــت الواقعية تعني الانسان والحياة ! فالتلمذة على جوركي ليســت جريمة اذن ! ! .. ..

لقد صدر حكم الاعدام على القصة العربية في الاقليم الجنوبي فـي بساطة وفي « ملف » من صفحة ونصف . لماذا ؟ لان « الذي مـــات وانتهى ليس الا رافدا وحيدا او صغيرا لم يؤثر موته في قوة الدفعـــة الواعية التي تؤسس مواهب شبان اخرين » ..

ان انتاج الشرقاوي . والخميسي . ويوسف ادريس . وفاروق منيب . واحمد نوح . والطوخي . وغيرهم ليس الا المفهوم السطحي (الواقعية) . لذلك ماتت القصة ولنجد العزاء في « قوة الدفعة الواعية التي تؤسس مواهب كتاب اخرين » هذا هو ما يقوله ناقدنا الشاب محيي الدين محمد ونحن لا نجد ازاء هذه القولة الا مصمصة شفاهنا في حسرة والم على ما وصلت اليها مهمة النقد من ضحالة وسطحية .. ولا نجد ايضا المبرر لمطالبة الناقد بالاسس التي اعتمد عليها في حكمه هذا .. وكذلك لا نطالبه الشواهد والبرهان عن « قوة الدفعة » هذه .. لان صديقنا محيي الدين رفض منذ البداية ان يؤسس نقده على الاثر الفني كما انه لم يتضح حتى الان منهج ناقدنا رغم ثرائه في التحبير !

نعم .. « ان المواهب الممتازة موجودة في الاقليم الجنوبي » ونزاهة الضمير النقدي قد تستوجب على الناقد اداء وظيفته على اساس تفسير ملامح تلك المواهب المنعكسة في الانتاج الذي برز للنور . وكان من السهل مع بعض المثابرة الوصول الى الاحكام الحقيقية بدلا من احكام الاعدام على القصة وبدلا من التفاؤل بشبح طاقات حبلى لا ندري ما اذا كان جنينها سيولد مكتمل الخلقة او ناقصها .. او مشوهها !! وما كنا نريد لناقدنا ـ وهو يلح دائما على تأسيس النقد على المصادر ـ ان يصاب بفقر المصادر فيطلق احكامه في تجريدية مطلقة .

ان عملية النقد ـ كما قلنا ـ عملية تنقيب وانتقاء .. والتنقيب والانتقاء هما اللذان .. يصقلان رؤية الناقد الاديب الى العمل الفني . تماما كما ان « الثقافة تصقل رؤية الفنان الى العالم » ونقاد اوروبا انفسهم يزاولون وظيفة النقد خلال عمليتي التنقيب والانتقاء .. واذا كانت القراءة عندهم « ليست الا تصحيحا دائما لنظرة الانا الى الكون » فان معاناة عملية التنقيب والانتقاء ابداع مطرد لنظرة الانا .. وانت والكون جميعا .

ويبدو ان ناقدنا الشاب وقع ـ كرد فعل لعزوف الادباء عن القراءة والاكتفاء بالكتابة ـ في النقيض فاستعاض بالكتابة عن القراءة الجادة المنهجية .. وهذا ما يشهد عليه نقده الخالي من الاسس والشواهد .

ان الاثر الادبي والنقد توأمان يكملان بعضهما ويتطوران معا .. وكما ان .. الافتعال المصطنع و « الريبورتاجية » لا ينتجان ادبا حيا. كذلك ان جمع الفهارس وحفظ اسماء المؤلفين والاعتماد على نتف مأثوراتهم لا ينتج نقدا بانيا حيا ..

ونحن نوافق الصديق محيي الدين على « ان افة الدكاترة انهم يظنون انفسهم دائما في درجات الكلية يخاطبون تلامذة صغار العقول » ولعل صديقنا يتفق معنا ان افة من ينبرون لمهمة النقد من التلاميذ انهم يظنون انفسهم دائما في «حوش» المدرسة يصنعون الضجة ويلقون جزاف القول على انه حكمة ولغز لمن يصغرهم سنا ليثبتوا انهم اكبر منهم عقلا ايضا !! وبالرغم من ان صديقنا الناقد قد توصل الى الحكم بموت القصة في الاقليم الجنوبي ووقف التيار الواقعي فيه مستنتجا حكمه من مرحلة الركود الانتاجي التي تخيمت على شبابنا الا انه كاد ان يصل الى النتيجة الحقيقية عندما قال : « بان الوضع الثقافي يعجز الاديب الشاب عن تقديم انتاجه الى القراء بل ويعجزه عن ان يصبح كاتبا موهوبا » وهنا بداية نقطة التقائنا معه .. فنحن نتفق معه كلية كما نتفق معه ايضا بان بذرة الموهبة الفنية التي جلبت من تربة الريف موجودة « ولكنها تفتقر الى الرعاية والى النقد الحي المستقيم الذي يهدف الى غاية فنية واخلاقية » ونحن ندعوه ليتفق معنا بان بعض البذرات الفنية تبرعمت منذ سنين وذاعت رائحتها الطيبة وشاع لونها المشرق في المجالات الادبية .. وهي ايضا تفتقر الى نقد حي مستقيم بتحديد نوع شرانقها وتفسير مكونات وريقاتها .. والمولوداحق بالرعاية من جنين في بطن امه !! ونتفق ايضا مع محيي الدين بان المواهب الممتازة تحتاج الى المجلة الجادة التي يعمل تحريرها بدون وساطة وبدون اعتماد على الاسماء الكبيرة وبدون شفاعات وطلبات وبدون امر ايضا !! ونحن نعتقد ان نقاط الالتقاء هذه تكفي لتغيير الجو الادبي المشبع بالكراهية والمقت والسخط » ..

وفي النهاية يجب ان نتفق انه من غير الصحيح ان نلغي القصة العربية ونحكم عليها بالاعدام «الان المنشور منها في الاقليم الجنوبي لا زال ضعيفا » ..

ومن غير الصحيح ايضا على الاطلاق ان نحكم بتوقف التيار الواقعي لان ثمة ركودا يكتنف اقلام الكتاب . وغير صحيح ان نصدر احكاما عامة سريعة وبدون مسوغات بان الادب القصصي في الاقليم الجنوبي سيء واعلاني وفج ومتخم صفارا وتفاهة .. ذلك دون ان نقدر اية مسئولية لهذا الحكم .. كل ذلك غير صحيح .. اما الصحيح والسليم فهو ان يتحمل الناقد مسئولية النقد وهو يحاول مزاولة هذه الوظيفة المرهقة النزيهة ! ! والا يقع تحت اول لفحة من لفحات الزوبعة التي يثيرها دكاترة صفحة الادب بجريدة « الاخبار » .. الاسلم الا نثير الغبار سواء كان عن حسن قصد او عكسه حتى لا يحجب الغبار لاصدقاء بعضهم عن بعض وحتى لا تختلط علينا معرفة الاصدقاء من الاعداء .. خصوصا اذا كنا في المنحدر والريح في مواجهتنا ؟

القاهرة

محمد فضل بكاب
عضو رابطة الادباء السودانيين بالقاهرة

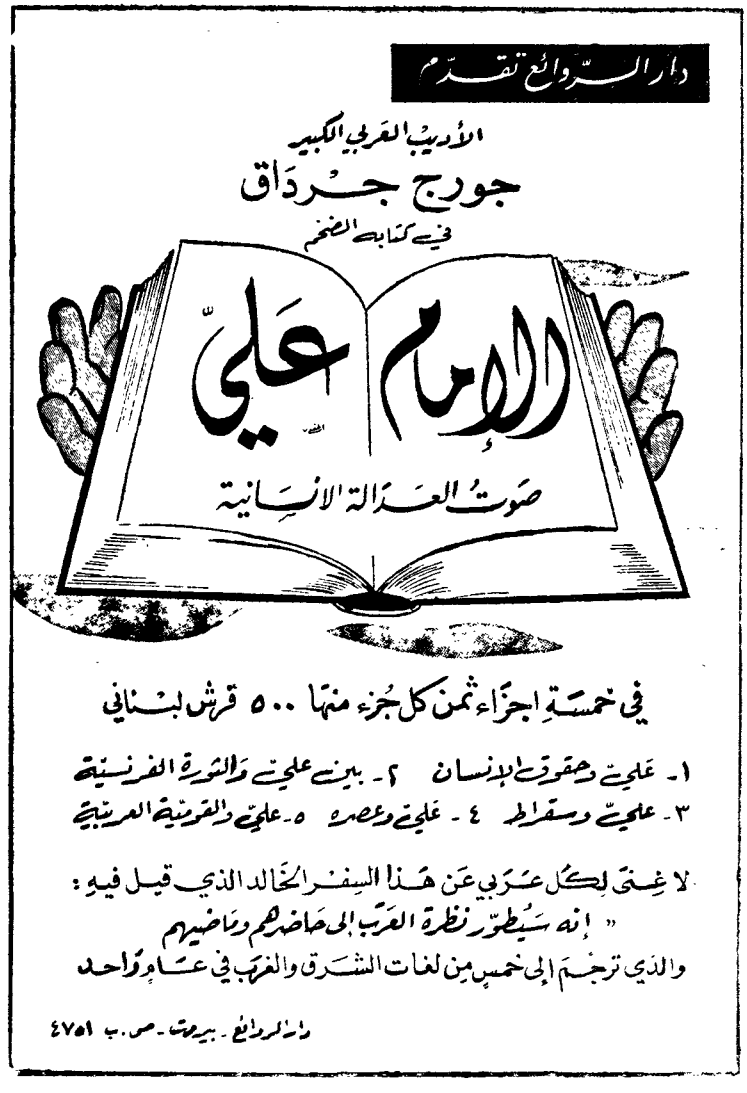

حول القصة العربية ايضا ...

بقلم امام الشيمي

كنا نود ان نجد ردا موضوعيا ومتزنا من الكاتب الجاد محيي‌الدين محمد ـ مراسل الاداب في الاقليم الجنوبي ـ في مشكلة ثقافية هامة لا شك تهم الكثير من المثقفين في العالم العربي . فبدلا من ان يوضح الدور الخطير الذي لعبه انيس منصور بتشككنا في ثقافتنا واحباط كل عمل جدى ببهلوانيته وتنكره تحت اسماء شريف شريف وابراهيم الحنفي ليخلق اي جو يعطل المثقفين عن المناقشة الجادة الهادفة في مشاكلهم .

وللاسف كما يقول الاستاذ محيي الدين محمد عن الدكتور كمال زكي فنفس الشيء نقوله عنه فقد وقع هو الاخر في شبكة الدكتور الحنفي وقرر ان القصة في الادب الجنوبي ميتةوكذلك المجلات والجرائد في اقليمنا العزيز لا ينشر فيها سوى السيء الفج والاعلاني والمتخم بالتفاهات ، ونسي الاستاذ محيي الدين ان هذه الجرائد والمجلات نشر فيها كثيرا من هؤلاء الذين يدافع عنهم . فيوسف ادريس « الذي تميز بنقاوة غير عادية وبفهم ممتاز للواقع » نشر وما زال ينشر في الجمهورية والمساء وصباح الخير ولم تعرفه مجلات بيروت سوى في قصة واحدة في الثقافة الوطنية عام ١٩٥٦ وهي « المحفظة » وقد نشر قبل ذلك في صباح الخير . وينطبق الكلام على سليمان فياض الذي نشر بمجلة الشهر (التي في نظره تعتمد على الاسماء الكبيرة او الشفاعة) قصتين . وكذلك ابو المعاطي الذي نشر بها ثلاث قصص ومنقبل قرأنا له في جريدة المساء قصة « خروج عن الموضوع » وسليمان وابو المعاطي نعتز بهما تماما ولكن لا تتهم المجلات والجرائد بنفس الصورة الخاطئة التي تصورها . اما وحيد النقاش وغالب هلسا فقد نشر كل منهما ثلاث قصص بالتحديد بمجلة الاداب ولا نستطيع ان نحدد من خلال هذه القصص الثلاث اتجاهات ادبية جديدة ممتازة او سيئة لانهذه القصص ليست في درجة الاعجاز والا لماذا اغفل يسري احمد وهو باعتراف يوسف ادريس استاذه ـ وربما ـ يكون قد قرأ له في الجمهورية قصته « كاميليا » ومن قبل كتب في الغد والقصة وقصص للجميع . وبالطبع ربما يكون غالب ووحيد كتبا مئات القصص وقرأنا مسودات له بصفته صديقهما فما ذنبنا ونحن لسنا اصدقاءهم ؟

اظن انه يوافقني على انه كان متسرعا فياتهامهللجرائد والمجلاتفي اقليمنا وهي تنشر لمن يعتبرهم ممتازين في نظره . وقد نشرت كذلك هذه المجلات والجرائد قصصا لعبد الهادي البكار ، وياسين رفاعيه ، سميرة عزام ، عادل ابو شنب ، فاضل السباعي ، جان ألكسان .

واذا كان الاستاذ محيي الدين يتهم الدكتور الحنفي بانه لم يقرأ انتاج القصاصين العرب فنحن نتهم محيي الدين بانه لا يقرأ نتاج القصاصين في الاقليم الجنوبي والا كيف اغفل اسماء حليم وتذكر سميرة عزام وكيف اغفلمحفوظ عبدالرحمن وفهميحسينوالدكتور شكري عياد بمجموعته الرائعة « ميلاد جديد » وعبد الرحمن فهمي وادوار خراط حتى حين تذكر كتاب القصة في العراق كانت امثلته غير موفقة اذ ذكر ذو النون ايوب وعبدالله نوريوجبرا ابراهيم جبرا في حين لم ينشر لهم سوى قصص قليلة وقليلة جدا وكان اجدر به ان يذكر شاكر حضباك الذي طبع بالقاهرة مجموعة ممتازة هي « عهد جديد » وكتب لمدة اربع سنوات بالرسالة وكذلك ينطبق القول على غائب طعمه فرمان .

ولكن ما حيلة ابناء الاقليم الجنوبي والاستاذ محييصر علىتجاهل هذا الاقليم بادبائه وقرائه وما يطبع فيه فكل شيء ممتاز ـ في نظره ـ خارج هذا الاقليم وكتاب القصة ممتازون خارجه والمجلات جادة وبلا شفاءة واسماء ضخمة خارج هذا الاقليم التعس ؟

واخطر من هذا كله التعميمات والاحكام التي يطلقها الاستاذ محيي . فيقول : « فبعد ان توقف تيمور وطاهر لاشين عن الكتابة ، برزت قصص مجموعة من الشباب الذين اسموا انفسهم بالواقعيين ، ممن تتلمذوا على جوركي خلال اعماله المترجمة ثم يقول ان يوسف ادريس كان الممثل الاول لهذا الاتجاه . ولا ندري اينسيقف الكاتبالكبير يحيى حقي وكذلك الاستاذ الرائد محمود البدوي الذي ما زال يكتب للان واصبح له للان ثماني مجموعات هل اعتبرهما الاستاذ محيي جيل ما قبل تيمور او جيل تيمور او بعده ... لا ادري ؟ ام ان تهمتهما الوحيدة الاقليم الجنوبي والنشر في مجلاته وجرائده ؟

ثم ان في حديثه عن الشبان تعميما لدرجة لا تفهم فمن هم هؤلاء ؟ هل هم رشدي صالح وعباس صالح ولطفي الخولى وعادل كامل وصلاح ذهني والسحار واحسان وسعد مكاوي ، وسعد وهبه ويوسف جوهر وشكري عياد وعبد الرحمن فهمي وما موقفه من انتاج هؤلاء جميعا ؟ ام هو يرفضهم من البداية ؟

الحقيقة ان الاستاذ محيي تسرع جدا في احكامه على كتاب القصة وربما يكون عذره الدكتور حنفي ثم انساق للحديث بدون دراسة وحصر ، فنتج مقاله الاخير عن القصة العربية والدكتور حنفي .

ثم لي سؤال يحيرني في الاستاذ محيي : لماذا هذا العنف في الهجوم على الشعراء الجدد ووصفهم بالجهل والحماقة والقصاصين والادباء الشيوخ وكل شيء لماذا ؟

ان الجميع متفق على ان هناك شعرا سيئا وقصصا تافهة ولكن بلا تعميم وليس على حساب الاخرين ، فالاجدر بناقد مثقف شاب مثل محيي ان يدرس هذه الظواهر في الشعر والقصة ويبحث عن جذورها ويربطها بواقعنا الاجتماعي والثقافي ثم يحدد انتاج كل كاتب باخلاص وفهم وينير الطريق امام هؤلاء الاغبياء الذين لا يقرأون سوى الترجمات ولا يفهمون عن العالم شيئا . فالمثل الصيني القديم يقول : « بدلا من ان تلعنوا الظلام اضيئوا شمعة »

هل درس لنا محيي مجتمعنا الثقافي واعطانا دراسة وافية عن نشاط القصة في اقليمنا الجنوبي والعزيز علينا جدا وعلى كل بلد عربي بمجلاته وجرائده لانها في أي صورة من صورها ستكون تعبيرا عن واقعنا في مرحلة معينة من تاريخ تطورنا ؟

ان اسلوب انيس منصور لا يرد عليه بنفس الاسلوب ولكن الرد الوحيد هو الدراسة الجادة المتأنية لكتابنا جميعا والاخذ بيدهم وتوضيح المشكلات امامهم حتى يصلوا للدرجة التي يتمناها الاستاذ محيي الدين محمد .

وتحياتي للاداب ذلك المنبر الذي يتيح لنا جميعا المناقشةالصريحة على صفحاته وتحياتي لكتاب القصة في الاقليم الجنوبي وللاستاذ محيي الدين محمد والسلام .

القاهرة

امام الشيمي

جمعية الادباء ـ بني مزار

مـن التحرير

تأسف رئاسة التحرير لاضطرارها الىعدم نشر باب ((النشاط الثقافي في الوطن العربي)) بسبب غزارة مواد باب ((مناقشات)) في هذا العدد .